

« نار جوزي ولا جنة أهلي »

خذلان الأهل أحد أسباب العنف ضد المرأة

٣ مارس ٢٠٢٢

تتعدد الأسباب التي قد تدفع المرأة وتجبرها على الاستمرار مع زوج عنيف يعتدى عليها بالضرب لكن لماذا تتصالح بعضهن مع الفكرة وتتقبلها وربما تدافع عنها أيضا؟ هذه التساؤلات طرحت نفسها بقوة بعد واقعة عروس الإسماعيلية الأخيرة التي تعرضت للضرب من عريسها في ليلة الزفاف وما كشفت عنه هذه الواقعة أن موقف الأهل قد يكون أحد الأسباب المهمة للتصالح مع العنف وقبوله، فالمهم هو استمرار الزواج وكل شيء يهون في سبيل ذلك.

وكثير من الزوجات تعيش بمبدأ «نار جوزي ولا جنة أهلي» لعدم مساندة الأهل لها وقبولهم للفكرة نتيجة للموروثات الخاطئة والتربية التقليدية ومبدأ «ضل راجل ولا ضل حيطه، ومعدناش بنات تتطلق» وتكشف الإحصائيات الرسمية للجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء أن ٤٢% من السيدات تعرضن للعنف من أزواجهن، ٣٧% منهن بلا عائد أو مورد أوسند وكثيرا ما يطلب الأهل من ابنتهم العودة إلى زوجها وعدم استفزازة وكما تقول د.نادية جمال استشاري العلاقات الأسرية فبعض الأسر ما زالت تتمسك بموروثات خاطئة متصالحة مع فكرة العنف أو بسبب الخوف من نظر المجتمع أو حمل الابنة للقب مطلقة وهو بالنسبة لهم ضرر أكبر من تعرضها للإهانة والضرب والاعتداء وربما يتهمونها بالمسئولية عن العنف ويحملونها الذنب وبأنها «تتساهل» فلا تجد المرأة أمامها سبيلا إلا الاستمرار، فإذا كانت بلا تعليم أو شهادة أو عمل ولا مكان لها بين عائلتها فليس هناك مخرج أمامها إلا الاستمرار والتعايش ومع الوقت يصبح كل شيء معتادا.

وهنا تحذر استشاري العلاقات الأسرية من سلبية بعض الأسر في مثل هذه المواقف التي تؤدي إلى شعور الفتاة بالخذلان وبخيبة الأمل أثر التعرض لموقف غير متوقع خاصة ممن هم مصدرا للأمان والثقة وهنا تمثل العادات والتقاليد والموروثات الخاطئة أكبر عدو للمرأة وهو أمر في غاية الصعوبة، وعلى الرغم من حصول المرأة على قوانين تدعم وتحفظ لها حقوقها، إلا أن العادات والتقاليد البالية ما زالت سيفاً مسلطاً على عنقها فنجد الأهل يحملونها فوق طاقتها وعليها أن تصبر وتحمل والا تعود إلى بيت أهلها مهما يكن الأمر ودور الأهل هنا في غاية الأهمية لأنه بمثابة رادع للزوج المعنف وعند وصول الحياة الزوجية للابنة إلى حد الانفصال فيجب أن يكون دور الأهل إيجابيا وإرشاديا وتوعيتها بالحياة الجديدة وتقبل ما بها من خلافات في الإطار المعتدل، لكن إذا كان الخلاف يصل إلى حد الإهانة المتعمدة والتقليل من شأن الطرف الآخر هنا يجب الانتباه جيدا، كما يجب عند استماع الأهل لشكوى ابنتهم لابد من تقييم الموقف بدون تحيز وأن يأخذوا دور الوسيط العادل غير المتحيز لطرف عن الآخر مع الاستماع الجيد للبت لأنهم خير من يعطى النصيحة والخبرة في التعامل التي تساعد على فهم الحياة الزوجية، ولا يشعرونها بأنها عبء عليهم لابد من التخلص منه، والأهم من ذلك كله تسليحها بالعلم وتعزيز ثقتها بنفسها لا ان يتم تربيتها على ان الزواج هو الهدف الأسمى لحياتها وعليها أن تتحمل كل شيء في سبيله وأن تتعلم كيف تكون شخصية مستقلة قادرة على اتخاذ قراراتها وتستطيع ان تتحمل مسئولية نفسها وان تضع الحدود لنفسها وللآخرين وكل ذلك لن يحدث إلا بالتربية السليمة والتعليم الجيد.

ومن جانب آخر ترى د.دينا أبو العلا رئيس قسم الاجتماع بجامعة المنصورة أن الأمر يبدأ من المنزل وطريقة التربية التي تلقتها الفتاة فإذا كانت تتعرض للعنف في بيت والديها فمن الطبيعي أن تكون متصالحة ومتقبلة لفكرة العنف وإذا كانت ترى والدتها وقربياتها يتعرضن للعنف فلن يصبح أمرا جلا بالنسبة لها، وإذا تربت في بيت يعلى من شأن الأخ الذكر ويعتبرها أقل منه ويشعرها بالدونية فمن الطبيعي ان ترى استخدام القوة أمرا عاديا، وفكرة الاعتداء بالضرب على الفتاة بشكل عام في منزل والديها صغيرة كانت أو كبيرة فكرة مرفوضة تماما، فهو يعلمها الخوف ومن ثم الكذب لأنها تكون فقدت الحنان والأمان فتلجأ لأي شخص آخر لتعويضها ذلك سواء من صديقة أو من شخص من الجنس الآخر .

وبالرغم من قبول الفكرة في بعض البيئات الاجتماعية والثقافية إلا أن الزوجة التي تتعرض للضرب والإهانة من زوجها تفقد احترامها له كرجل وزوج، ويسقط من نظرها لأنها ترى أنه لم يعد قادرا على حمايتها وتفقد معه إحساسها بالأمان. والتخلص من هذا الموروث يحتاج إلى تربية الذكور على احترام الجنس الآخر، وتوعية الشاب المقبل على الزواج أن زوجته لها كرامتها ولها أهلها الذين يقفون الى جانبها، فالزوج الذي يعرف ان اهل زوجته يساندونها ويقفون الى جانبها يفكر ألف مرة قبل الإتيان بأي فعل، لكن الزوج الذي يثق أن أهل زوجته سيعيدونها وربما يرجونه ان يعيدها لبيتها فلن يتورع عن فعل شيء، والخطورة هنا كما تراها استاذ علم الاجتماع أن المرأة التي تتعرض للعنف باستمرار وتفقد الأمل وتصل إلى حد اليأس من وجود أي حل أو مخرج فقد يدفعها ذلك إلى أن ترد الإساءة بالإساءة والعنف بالعنف، كما رأينا بعض الحوادث الأخيرة من جرائم القتل بين الأزواج وكانت نتيجة المعاملة بقسوة شديدة والتعرض للعنف المتكرر.

وانصح أنه على الأهل أثناء توعية أبنائهم الشباب بالجوانب البيولوجية لطبيعة المرأة نتيجة لتأثير الهرمونات الأنثوية عليها وبالتالي تصبح شديدة العصبية في أوقات معينة وعدم قدرتها على تحمل الضغوط النفسية، وبالتالي فهذا سوف يقلل من حدوث أوقات الخلافات بينهم، من جانب آخر أيضا لابد من تنشئة الفتاة منذ الصغر على ثقافة الاحترام المتبادل وتوعيتها قبل الزواج على ضرورة احترام الزوج والبيت وأن الحفاظ على كرامتها يكون بالمودعة وحسن العشرة.